

مرجعيات التنشئة الاجتماعية لدى اليهود-الإسرائيليين - إشكالية الأنا والآخر
 The Jewish Socialization's References - The Israelis-
 and the Problematic of the Ego and the Other

الضاوية معاش¹

مخبر فلسفة، علوم، وتنمية بالجزائر، جامعة وهران 2

جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم

maachenassira@yahoo.fr

بن عمر يزلي

جامعة بن أحمد محمد، وهران 2

Amar.yezli@gmail.com

تاريخ الوصول 2019/12/03 القبول 2020/12/01 النشر على الخط 2021/01/15

Received 03/12/2019 Accepted 01/12/2020 Published online 15/01/2021

ملخص:

يسعى هذا المقال إلى دراسة إشكالية الأنا والآخر في التنشئة الاجتماعية اليهودية (الإسرائيلية)، لهذا فهو يسلط الضوء على المرجعيات التي تعتمد عليها هذه التنشئة من جهة، ومن جهة أخرى يسعى إلى كشف القيم والمبادئ التي تنقلها هذه التنشئة إلى أجيالها، وبالخصوص تلك التي تحدد علاقة اليهودي بالآخر، غير اليهودي.

الكلمات المفتاحية: التنشئة الاجتماعية، الأنا، الآخر، المرجعيات، القيم التنشئة اليهودية

Abstract :

This article attempts to study the Problematic of socialization: singularity of the ego and strangeness of the other in the Jewish community in general and Israeli society in particular. That is why it highlights, from one side, the references that this socialization based on. And, from the other side, the values and the principles transmitted from one generation to another by the means of this socialization, especially the one which determines the relationship between Jewish and non-Jewish.

Key words: socialization / ego / other / references / Jewish socialization.

¹ - المؤلف المرسل: الضاوية معاش البريد الإلكتروني: maachenassira@yahoo.fr

1. مقدمة:

لعل أول ما يصادفنا ضمن سياق الأنا والغيرية في التراث الفكري والديني الإنساني هي تلك القصة المتعلقة بنشأة الخلق البشري، عند المفاضلة بين الخير والشر وبين الإنسان وبين ما يسمى بالشيطان أو إبليس في لغة القرآن، بل والمفاضلة بين النشأة من الحمأ المسنون، الطين اللازب، والنار " قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين". (الآية 76 ، سورة ص) ، فالنار حسب إبليس، عنصر مادي أفضل وأرقى من الطين، حتى وإن كان الذي خلقهما واحد أحد.

إن العلاقة بين الأنا والآخر يحكمها في كثير من الأحيان هذا المبدأ، وهو مبدأ التفاضل، إلا في حالات نادرة تطرح فيها هذه القضية بطريقة معكوسة، حيث تحقّر الذات نفسها وتقزّمها، وتضخم الآخر وتقدهسه، ويكون ذلك عادة، نتيجة لعقد نفسية يعاني منها الأفراد، والجماعات على حد سواء، كأولئك الذين خضعوا مثلاً، في طفولتهم إلى أسلوب تنشئة اجتماعية قائم على النقد اللاذع، وعدم التشجيع على السلوك الحسن، أو أولئك الذين عرفوا نوع من الاضطهاد والقهر، كالقهر الاستعماري مثلاً. هذا الأخير الذي يكون غالباً في موقف قوة بما يمتلكه للعديد من المؤهلات والإمكانات العسكرية منها، والثقافية، وحتى الحضارية، وفي المقابل يكون المستعمر في موقف ضعف ودونية أي في موقف المغلوب، فتنشأ عنده عقدة من الآخر المستعمر تجعله ينظر إلى غالبه نظرة يمتزج فيها الإجلال والتقدير، والخوف والتقديس، حتى يصل به المطاف إلى تقليده في كل كبيرة وصغيرة، وهو ما تؤكده القاعدة الخلدونية " المغلوب مولع بتقليد الغالب".

فالتفاضل الكبريائي، قد يكون أول المعاصي، بل وأصلها، وأساسها تضخم الأنا ومركز "الايغو"، هذا التضخم لم يتوقف عند حدود "إبليس" كما عرفناه في النصوص الدينية، بل انتقل إلى البشر، إلى الآدميين. ولعل اعتبار الكبر والتكبر أصل كل المعاصي، قد يرجع لكون أن هذه الصفة تلازمها لا محالة صفات أخرى من جنس واحد. فالتكبر يجعل الذات أو الأنا تشعر بأنها مركز الكون، وأن ما دونها هوامش، أغيار. ينتج عن هذا الشعور الأناني النرجسي أحياناً، أن تبيح الذات لنفسها ما لا تبيحه لغيرها، وتضفي عليها هالة من التقديس والإكبار، ليصبح الأنا هو الأحق والأعلى، والغير أو الاغيار هم الأدنى والاحقر. والتاريخ لا يخلو من نماذج كهذه .

ففي كل عصر نجد نماذج اتصفت بهذه الصفة النازعة نحو المركزية الأنية، كونها غريزة بشرية تأخذ سندها من الغريزة الحيوانية أصلاً والمرتبطة بمسألة التطور العقلي المحدود للإنسان مهما تطور. ففرعون مثلاً، أوهمه هذا الشعور إلى درجة ادعائه الربوبية "أنا ربكم الأعلى"، وقس على ذلك هامان، وقارون ... وصاحب الجنتين. وغيرها من القصص والنماذج التي لا يتسع المقام لذكرها.

إن نصوص الديانات السماوية، تكاد لا تختلف كثيراً في الأصل حول سواسية البشر رغم اختلاف أجناسهم وأعراقهم، ويكون الفارق فقط في درجة "التقوى". هذه التقوى، هي لب المشكلة، لأن تفسيرها أو بالأحرى تأويلها هو من سيجعل من الدين هوية فردية جماعية تميزه عن الآخر بل وتصل به إلى حد إلغائه واعتباره جنساً دونياً. هكذا نجد مثلاً اليهود والنصارى يحولون الدين إلى مفاضلة لهم ضد كل الأغيار، بل وحتى أن اللجنة مخصصة لهم دون غيرهم: "وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى..." (البقرة: 111). كما أن اليهود اعتبروا أنفسهم "شعب الله المختار"، فقط لأنهم من أصل يهودي، لا علاقة للعمل ولا

بالتقوى، بل التقوى أصبحت ثانوية أو بالأحرى منعدمة: "كنتم خير أمة أخرجت للناس، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر..." (آل عمران الآية 110)، إن الآية تشترط ضرورة قيام الأمة بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، كشرط أساسي لكي تحظى بالخير، والأفضلية، لكن هذا الشرط أصبح عندهم منسياً، ويكفي أن تكون يهوديا أو نصرانيا لتدخل الجنة لأنك فوق الآخرين مهما فعلت: شبه حصانة ربانية عرقية دينية، لا دخل للتقوى في ذلك.

المسلمون هم الآخرون حولوا الإسلام إلى هوية اجتماعية عليها تشكل التنشئة الاجتماعية ضد الآخر، حتى ضد أخوهم المسلم، وهو ما نلاحظه عندما يتعلق الأمر بالأسر التي تسمى نفسها بأنها أسر شريفة، ونسبها شريف، وبالتالي فهي في مسألة الزواج مثلاً، صارمة جداً، فالكثير من هذه الأسر لا يزوّج بناته إلى أسر لا تعرف بنسبها الشريف حتى وإن كانوا ملائكة يمشون على الأرض.

غير أن النموذج اليهودي في التنشئة الاجتماعية يبقى أسطوريا لما تعتمد عليه هذه التنشئة من تقاليد اجتماعية وممارسات تنشئية، الهدف منها إبقاء اللحمة والهوية اليهودية موحدة للعرق في الدين، والدين في العرق.

إن النموذج اليهودي في التنشئة الاجتماعية، يطرح إشكالية الأنا والآخر بقوة، بل تكاد تتمحور كل مرجعياته الدينية، والتاريخية، والصهيونية حول موضوع العلاقة بين "الأنا" اليهودي، والجويم، أي "الآخر" غير اليهودي، غير قارئ الكتاب، أي التوراة.⁽¹⁾ غير أن النموذج اليهودي في التنشئة الاجتماعية يبقى أسطوريا لما تعتمد عليه هذه التنشئة من تقاليد اجتماعية وممارسات تنشئية، الهدف منها إبقاء اللحمة والهوية اليهودية موحدة للعرق في الدين، والدين في العرق.

إن النموذج اليهودي في التنشئة الاجتماعية، يطرح إشكالية الأنا والآخر بقوة، بل تكاد تتمحور كل مرجعياته الدينية، والتاريخية، والصهيونية حول موضوع العلاقة بين "الأنا" اليهودي، والجويم، أي "الآخر" غير اليهودي، غير قارئ الكتاب، أي التوراة.⁽²⁾ نطرح في هذه الإشكالية، آليات التنشئة الاجتماعية في الفكر الاجتماعي والانثروبولوجي الديني لدى الطائفة اليهودية كإستراتيجية تنشئية تعتمد على الخصوصية الدينية والانتماء السلافي عبر الأم، أي على المورثات الثقافية من أجل بقاء "الأمة" اليهودية موحدة عقائدياً وتمثالياً.

فالتنشئة الاجتماعية، بالإضافة إلى عوامل أخرى (قد تكون وراثية مثلاً)، هي المسؤولة عن صنع هذا الإنسان، وبلورته، وتشكيله من خلال القيم والعقائد والعادات والتقاليد وغيرها، لذا عملنا في هذا المقال على كشف طبيعة التنشئة الاجتماعية لدى هذه الطائفة، لا سيما دورها في تشكيل الأنا اليهودي، وكذلك في رسم صورة للآخر غير اليهودي.

وبما أن كل تنشئة اجتماعية مهما كانت وظيفتها وغايتها وفلسفتها، ومهما كانت المجتمعات والمؤسسات التي تمارس فيها لا تنطلق من فراغ، وإنما تتركز في عمليتها هذه على العديد من المرجعيات، والأطر التي تزودها بمجموعة أو منظومة من القيم، والمبادئ تكون

¹ نشير هنا أن كلمة غويم، أرامية عبرانية تعني غير اليهود، غير المتعلمين والقارئيين للكتاب المقدس الذي هو التوراة، ومنه اشتقت كلمة "أميين" في العربية والتي تعني غير المتعلم الذي لا يقرأ ولا يكتب.

² نشير هنا أن كلمة غويم، أرامية عبرانية تعني غير اليهود، غير المتعلمين والقارئيين للكتاب المقدس الذي هو التوراة، ومنه اشتقت كلمة "أميين" في العربية والتي تعني غير المتعلم الذي لا يقرأ ولا يكتب.

نحجا يسير عليه القائمين على هذه العملية، فإن اهتمامنا كان منصبا أكثر على مرجعيات ومصادر هذه التشنئة دون التركيز أكثر على المؤسسات المخصصة لها، وذلك لأن مؤسسات التشنئة الاجتماعية، ولا سيما في عصرنا الحالي تكاد تكون واحدة، فهي متشابهة إلى حد كبير في معظم المجتمعات.

وعلى هذا الأساس فإن السؤال الذي يفرض نفسه في هذا المقال هو: ما هي المرجعيات التي تشكل المحور الأساسي في عملية التشنئة الاجتماعية اليهودية (الإسرائيلية)؟، ثم كيف تصوّر هذه المرجعيات لناشئتها الذات اليهودية، وما هي الفكرة التي تعطيها عن الآخر غير اليهودي؟

2. الأنا، "الذات" و"النحن"

اختلف الكثير من الباحثين والمفكرين الذين تناولوا أو عالجوا إشكالية العلاقة بين الأنا والآخر، ولم يطرح هذا الاختلاف على مستوى تحديد هذين المفهومين بقدر ما كان الاختلاف حول المصطلح الواجب تبنيه عند تناول هذه القضية.

فهذا الدكتور "عبد المالك مرتاض"، في مقال له بعنوان: "الآخر ونحن"، بحيث يمثل النحن، المجتمعات العربية والإسلامية المتخلفة، ويمثل الآخر المجتمعات الغربية المتطورة، يفضل استخدام مصطلح "نحن" مقابل مصطلح "الأنا"، وينتقد الدكتور "حسن الحفني" الذي يؤثر استعمال "الأنا"، ويبرر "مرتاض" اختياره هذا بقوله: "... أن مصطلح "النحن"، بالرغم من ضباييته - لأنه يفتقد الكيان الموحد الذي يدل عليه - فهو أدنى إلى أن يضرب بعيدا في الجغرافيا، إن لم يضرب بعيدا في توحيد الهوية والكيان، في حين أن "الأنا" حسبه لا تعني إلا حيزا صغيرا من الجغرافيا يمكن أن تنصرف لأي قطر عربي معين، لأننا لم نبلغ بعد المستوى الذي من خلاله يمكن لمفكر عربي واحد، أو لرجل سياسي واحد أن يتكلم باسم جماعة، الذين يتحدثون العربية أجمعين، وذلك لفقدانهم الكيان الموحد سياسيا وعسكريا واقتصاديا⁽¹⁾.

ثم يعود ويعلل اختياره لهذا المصطلح، مفترضا أنه قد يكون أقوى دلالة وأكثر شمولاً إذا أستعمل عوضا عن "الأنا"، لأنه في دلالاته الجمعية ينصرف إلى كل هذه الذوات الضعيفة المهزوزة حتى على كثرتها. فإذا كان مفهوم "النحن" الذي كان يفترض وجود مجموعة كبيرة من البشر أمرهم واحد يتكتلون حول قيم واحدة، وهم لا يتكتلون ولا يجتمعون، فكيف بمفهوم "الأنا" الذي يغتدي دالا على جزئية ضعيفة ضئيلة.

فمفهوم "نحن" يدل على بقايا نخرة من القيم الذاهبة، وأما "الأنا" فلا يدل إلا على جزء الجزء من تلك القيم الضائعة فيغتدي غير ذي معنى⁽²⁾.

لقد تبني "عبد المالك مرتاض"، مصطلح "النحن" بدلا من مصطلح "الأنا"، ليفسر علاقة بين طرفين متعارضين، أي غير متكافئين بحيث يحتل أحدهما القاعدة والآخر القمة، إنها النحن العربية الإسلامية التي تمثل التخلف، والانحطاط، والضعف في جميع المستويات، والآخر الغرب الذي يمثل التطور، والتقدم، والقوة في شتى المجالات. فانطلاقا من هذا الواقع اختار "مرتاض" المفهوم الأكثر دلالة للتعبير عن هذا الواقع وهذه العلاقة.

¹ - عبد المالك مرتاض، الآخر والنحن، الجزائر: منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، ج 1، ص 336.

² - نفس المرجع ص 341.

ولما كان الأنا والآخر مفهوم يشكل وحدة لغوية لا ينكشف معناها إلا في سياقها⁽¹⁾، فإننا فضلنا استخدام مصطلح "الأنا" بدلا من أي مصطلح آخر، لأنه يتماشى وطبيعة التنشئة الاجتماعية اليهودية، فمفهوم "الأنا" كما هو في المعجم الوسيط⁽²⁾ مشتق من الأنانية، وهي الصفة البارزة للتنشئة الاجتماعية اليهودية، ولا سيما في ما يخص علاقة اليهود بغيرهم.

بالإضافة إلى أننا آثرنا استخدام مصطلح "الأغيار"، بدلا من مصطلح "الآخر"، وذلك لأن مصطلح الأغيار هو ترجمة لمصطلح "الجويم" باللغة العبرية، وهو يطلق على غير اليهود.

3. التنشئة الاجتماعية: المفهوم، المصطلح والنظريات

تعد التنشئة الاجتماعية من العمليات الأساسية التي تفسر السلوك الإنساني، ومنه الشخصية الإنسانية، كما أنها العملية التي جعلت الكثير من العلماء والباحثين في مجال العلوم الاجتماعية والإنسانية يفسرون بها الاختلاف الحاصل بين الأفراد والمجتمعات، ليس فقط على مستوى هذا السلوك، بل حتى على مستوى التفكير والآراء والمعتقدات.

لقد انطلق علماء الأنثروبولوجيا الثقافية الأمريكية في أبحاثهم، ودراساتهم في هذا المجال من سؤال محوري هو: إذا كان لا مجال للشك في وحدة الإنسانية على المستوى البيولوجي أو النفسي، فما

هي آلية التغيير التي تنتهي بأفراد ذوي طبيعة متماثلة في البدء إلى اكتساب أنماط من الشخصية مختلفة ومتميزة لمجموعات معينة؟. إن الأجوبة على هذا السؤال جاءت من قبلهم تؤكد على فرضية واحدة وهي: أن تعدد الثقافات، يناسبه وجوبا تعدد أنماط الشخصية⁽³⁾، أي أن طبيعة التنشئة الاجتماعية التي يخضع لها الأفراد في حياتهم هي سرّ هذا الاختلاف.

ولكي نفهم هذه العملية أكثر، ونكتشف أهميتها، ودورها، وأثرها في تشكل صورة للفرد عن ذاته، وعن الآخرين يتوجب علينا أولا وقبل كل شيء، أن نحدد مفهوم التنشئة الاجتماعية، وأن نقف ونتعرف على تلك النظريات التي تناولتها، ولاسيما التي لها علاقة بموضوع البحث. فلكي نفهم كيف تتشكل لدى الفرد صورة نحو ذاته مثلا، لا بد من الرجوع إلى نظرية الذات، ولكي نفهم كيف تتكون لديه صورة عن الآخرين لا بد من الاعتماد على نظرية الاتجاهات.

1.3 المفهوم والمصطلح

التنشئة مشتقة من الفعل "نشأ"، نشوءا. يقال نشأ الطفل أي شبّ وقرب من الإدراك ويقال: <<نشأت في بني فلان>>، أي ربيت فيهم وشببت بينهم. ويقول الله تعالى في سورة "هود آية 61" {...هو أنشأكم من الأرض..}، أي ابتداء خلقكم منها. وقال أيضا في سورة "المؤمنون آية 14" {...ثم أنشأناه خلقا آخر...}. قال ابن عباس: يعني تنقله من حال إلى حال إلى أن خرج طفلا، ثم نشأ صغيرا، ثم صار شابا، ثم كهلا، ثم شيخا، ثم هرمًا.

يشير مفهوم "التنشئة الاجتماعية" في معجم العلوم الاجتماعية إلى أنها عملية إعداد الفرد منذ ولادته لأن يكون اجتماعيا وعضوا في مجتمع معين⁽¹⁾.

¹ - السيد عمر، الأنا والآخر من منظور قرآني، دمشق: دار الفكر، ط 1، 2008، ص 33.

² - مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، (بتكليف شوقي ضيف، وتحت إشراف، شعبان عبد العاطي وآخرون، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ط 4، 2004، ص 32.

³ - دنيس كوش، ترجمة منير السعيداني، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط 1، 2007، ص 62.

أما عالم الاجتماع الفرنسي "اميل دوركايم"، فيقول في تحديده لمفهوم التنشئة الاجتماعية :
 "...إن الإنسان الذي تريد التربية أن تحققه فينا، ليس هو الإنسان على غرار ما أودعته الطبيعة، بل الإنسان على غرار ما يريده المجتمع. فالتربية هي التأثير الذي تمارسه الأجيال الراشدة على الأجيال التي لم ترشد بعد، وتكمن وظيفتها في إزاحة الجانب البيولوجي من نفسية الطفل لصالح نماذج من السلوك الاجتماعي المنظم"⁽²⁾.
 ويعرفها "تالكوت بارسونز": بأنها عملية تعليم تعتمد على التلقين، والمحاكاة، والتوحد مع الأنماط العقلية، والعاطفية، والأخلاقية عند الطفل الراشد، وتهدف إلى إدماج عناصر الثقافة في نسق الشخصية، وهي عملية لا نهاية لها بل مستمرة⁽³⁾.
 أما عالم النفس: "سيجمويد فرويد"، فينطلق في تعريفه للتنشئة الاجتماعية من نظريته حول مكونات الشخصية، وفي جدل العلاقة القائمة بين هذه المكونات، والتي تكشف أهمية العلاقة بين الجانب البيولوجي، والجانب الاجتماعي، فالهو Le ça ينطوي على الحالة الفطرية الأولية عند الكائن، بينما يشكل الأنا الأعلى Le sermon الجانب الاجتماعي الثقافي، ويرمز إلى العادات والتقاليد الجمعية السائدة في المجتمع، ومنه فان التفاعل الذي يتم بين الأنا الأعلى، والهو عبر تدخل الأنا، يمثل الجانب الأساسي في عملية التنشئة الاجتماعية، وعن طريق التفاعل بين عضوية الكائن وثقافة المجتمع يستطيع الفرد أن يتكون اجتماعيا وأن يحظى بعضوية الجماعة⁽⁴⁾.

2.3 نظريات النشئة الاجتماعية

أ-نظرية الذات

تعتبر الذات محصلة التفاعل القائم بين الطفل وبيئته الاجتماعية والطبيعية، وهي عند علماء النفس تعبر عن كينونة الفرد وما يحمله من انطباعات ومشاعر عن جسمه وآرائه وأفكاره ومعتقداته. ويعرفها "ابن سينا": "...بأنها الصورة المعرفية عن النفس البشرية...".
 وللتنشئة الاجتماعية دور كبير في تكوين الذات، حيث يكون لها تأثير ايجابي أو سلبي على شخصية الطفل، وذلك حسب طريقة أو أسلوب التنشئة اللذان يعتمدهما الوالدين في تربية أبنائهم وخاصة في السنوات الأولى من عمرهم . وكلما كان تقويم سلوك الطفل من الوالدين ايجابيا، كلما أدى ذلك إلى تكوين ذات تشعر بالثقة بالنفس وتحس بأهميتها وقيمتها الاجتماعية .
 وقد حدّد "وليام جيمس" مفهوم الذات بقوله : "... بأنها جوهر الشخصية الذي يحقق انسجامها وأن ذات الإنسان هي عبارة عن مجموع ما يمتلك الفرد، جسمه وعقله، آرائه، معتقداته، أصدقائه، أعدائه...الخ.

¹ - مراد زعيمي، مؤسسات التنشئة الاجتماعية، الجزائر: مديرية النشر، جامعة باجي مختار، عنابة، دط، دت، ص 07 .

² -علي أسعد وطفة، الأسس العلمية في التنشئة الاجتماعية ، جامعة الكويت: مركز الرافدين للبحوث والدراسات الاستراتيجية، دط، 2012، ص 5-4 .

³ -رانيا عدنان، رشا بسلام، التنشئة الاجتماعية، الأردن: دار البداية، ط1، 2006 ، ص 11 .

⁴ - علي أسعد وطفة، الأسس العلمية في التنشئة، مرجع سابق ص 5 .

ويتطور مفهوم الذات لدى الفرد من خلال تفاعله وتكيفه مع البيئة المحيطة به وهنا تكمن أهمية التنشئة الاجتماعية، حيث تساعد الفرد على تقييم ذاته والشعور بأهميتها، وكلما كان التقييم ايجابيا كلما ساعد الفرد على اكتساب ذات تشعر بالثقة بالنفس ويمدّي أهميتها، وبالتالي يصبح للفرد جرأة وثقة في التمسك بآرائه واتجاهاته⁽¹⁾.

ب. نظرية الاتجاهات:

الاتجاه عند علماء النفس، ولاسيما علماء النفس الاجتماعيين: هو بناء مركب يتكون من عناصر ثلاثة هي: الشعور، والتفكير، والسلوك. ويعني ذلك وجود ميل إلى الشعور أو التفكير أو السلوك بطريقة محددة إزاء أناس آخرين، أو منظمات أو موضوعات أو رموز.

فعندما نتحدث عن ضرورة وجود اتجاه قومي مثلا، نقصد بشكل عام الإشارة إلى ضرورة أن تكون لدينا مشاعر بالحب والتقبل لقوميتنا، وأن نحاول أن نجد البراهين الفكرية المؤيدة لحقيقتنا القومية، وأن نسلّك بيننا وبين أنفسنا ومع الآخرين بصورة ملائمة لهذا الحب القومي⁽²⁾.

ويتعلق الجانب الشعوري بما يظهره الفرد نحو موضوع الاتجاه من إقبال أو رفض أو نفور أو حب أو كراهية، فعندما نتحدث عن اتجاه تسلطي بشكل عام مثلا، للإشارة إلى مشاعر النفور والتعالي التي يحملها الفرد نحو من هم أقل منه منزلة أو جاهها أو قوة. وعندما نتحدث عن اتجاه قومي قد نعني بشكل عام الإشارة إلى عنصري الحب والنفور معا، أي حب القومية، والنفور مما هو غير قومي.

أما الجانب الفكري فهو يشير إلى مجموعة الأفكار والمعتقدات والحجج التي يتقبلها الشخص نحو موضوع الاتجاه⁽³⁾. وتشكل الاتجاهات لدى الناشئة حسب بعض الدراسات في سن العاشرة⁽⁴⁾، ويلعب الوالدين، والمربين دورا كبيرا في إكساب الناشئة الاتجاهات، حيث ينقلون لهم عن طريق عمليات التعليم والتقليد والتوجيه، أي من خلال عملية التنشئة الاجتماعية، ميولهم واتجاهاتهم، ومنه يلاحظ في أغلب الأحيان وجود معامل ارتباط موجب بين اتجاهات الوالدين واتجاهات أطفالهم.

وتغرس الاتجاهات عن طريق سلطات أعلى من الفرد فقد تتعلم الاتجاهات عن طريق الخوف من سلطات عليا أو عن طريق احترامها، برغم عدم وجود الثواب المباشر أو العقاب المباشر، كالتعاليم الدينية التي يتلقاها الناشئة من الأسرة، أو في المدرسة⁽⁵⁾. فحسب بعض الباحثين، أنه إذا كانت أفكار الأفراد المشكلة لاتجاهاتهم ناتجة عن سلطة دينية، أو سياسية، أو تقاليد، فإن الخضوع لهذه الأفكار والمعتقدات سيكون متطرف و أعمى⁽⁶⁾.

¹ - رانيا عدنان، رشا بسّام، التنشئة الاجتماعية، مرجع سابق ص 46.

² - عبد الستار إبراهيم، الإنسان وعلم النفس، الكويت: عالم المعرفة، عدد 86، فبراير، 1978، ص 209.

³ - نفس المرجع، ص 211.

⁴ - وليام لامبرت، وولاس لامبرت، علم النفس الاجتماعي، ترجمة سلوى الملا، القاهرة: دار الشروق، 1993، ط2، ص 112-113.

⁵ - مایسة أحمد النبال، التنشئة الاجتماعية، الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية، دط، 2007، ص 33-34.

⁶ - عبد الستار إبراهيم، الإنسان وعلم النفس، مرجع سابق، ص 215.

4. مرجعيات التنشئة عند اليهود، ودورها في تشكل الأنا وصورة الآخر:

إن إعداد الفرد منذ نعومة أظافره، هي المرحلة الأكثر أهمية نحو خلق شعب متجانس له أهداف مشتركة، ولتحقيق هذا الغرض تسعى الأمم والشعوب وعبر مؤسساتها الاجتماعية المختلفة، ووسائلها المتنوعة، وخططها، وبرامجها إلى بذل الكثير من الجهود في سبيل تحقيق ذلك. ولكن هناك بعض الأنظمة ذات الفلسفات السياسية، والاجتماعية العنصرية، والعدوانية تنحرف عن هذه الغاية المشروعة، وتستغل عناصر الدولة ومواردها البشرية والطبيعية نحو توجيهات غير أخلاقية ولا إنسانية، كما هو حاصل في الكيان اليهودي الصهيوني، هذا الأخير الذي تقوم فلسفته التربوية على إعداد النشء إعدادا عنصريا عدوانيا متطرفا، وزرع فكرة الكراهية في نفس الناشئ، وعقله، وضميره⁽¹⁾.

نعم، هذه هي السمة الأساسية، والمحورية في فلسفة التنشئة الاجتماعية اليهودية، وهو ما اتفق عليه معظم الباحثين، والمفكرين الذين تناولوا المسألة اليهودية بصفة عامة، وطبيعة تنشئتها الاجتماعية بصفة خاصة، والشخصية اليهودية بصفة أخص. فبعد البحث المطول في المراجع التي تناولت هذه المسألة، والوقوف على أهم محطاتها التاريخية والثقافية والاجتماعية، لاحظنا أن هذه المسألة سال فيها الكثير من الخبر، وأتعبت الكثير من عقول المفكرين والعلماء وحتى السياسيين، ذلك لأن المسألة اليهودية هي مسألة معقدة تخص صنف من البشر تحملت عليه الكثير من الظروف، والعوامل التاريخية منها، والاجتماعية والنفسية، والثقافية، والدينية... وغيرها، بدءا من العصر الهليني والبابلي قبل الميلاد، وانتهاء بالعصر الحديث.

إن هذه الظروف كان لها الأثر الواضح في تشكيل الشخصية اليهودية، وفي بلورة سلوكها، هذا السلوك الذي كان محل انتقاد واشتماز وكراهية من طرف الكثير من الشعوب والحكومات المضيفة.

يركز هذا المقال على مرجعيات التنشئة الاجتماعية التي تمارس في إسرائيل، يعني على الأجيال الذين ولدوا في هذا البلد ونشئوا فيه وتعلموا في مؤسساته التربوية والاجتماعية المختلفة، وهو الجيل الذي يطلق عليه اسم "الصابرا".

وبالرغم من أن هذا الجيل أصبح له مكان جغرافي قار، مقارنة بآبائه، وأجداده الذين كانوا مشتتين في مختلف بقاع العالم، إلا أن التنشئة التي يخضع لها هذا الجيل تستمد مادتها وقيمتها ومرجعياتها، من

ذلك الشتات، ومن تلك الظروف القاسية التي عرفها الآباء وقبلهم الأجداد. هذا الشتات وتلك الظروف التي نسجت في شكل أساطير دينية أصبحت مرجعية أساسية للتنشئة الاجتماعية اليهودية الاسرائيلية.

ولكن، -والحقيقة تقال-، فبالرغم من الشتات الذي عرفته الجماعات اليهودية في كل بقاع العالم وكل ما صاحبه من شعور بالذل والمهانة من طرف شعوب وحكومات الدول المضيفة، إلا أن اليهود نجحوا في لمّ شمل أفرادهم وتوحيد كلمتهم، وأفكارهم وأرواحهم وعقائدهم، قبل توحيد المكان الذي يجمع أجسادهم، هذا التوحيد الذي انتهى باغتصاب أرض فلسطين وتأسيس دولة إسرائيل سنة 1948 .

¹ - جمال البدرى، الحرب على جغرافية القلب، القاهرة: الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، 2011، ط 1، ص 6.

نعم، لقد كان سرّ نجاحهم، من خلال تفتنهم لأهمية التنشئة الاجتماعية في تكوين أجيال تُكن الولاء للعرق السامي أينما كان، وحيث ما حل، وفي كل الظروف، وفي المقابل تُكن العداء لكل من يخرج من دائرة هذا العرق السامي في نظرهم، المصطفى في اعتقادهم، المقدس في أمانيتهم. فإذا تحقق لها تكوين هذا الجيل بهذه المواصفات، فانه قد تحقق لها حلمها الأبدي، وهو السيطرة على العالم بأسره، والانتقام من جميع البشر وإذلالهم على جميع المستويات.

ولكي يوفق اليهود في مشروعهم هذا تلزم عليهم، وتوجب، اختراع وابتكار مرجعيات ومصادر تؤسس لعملية التنشئة الاجتماعية هذه، فراحوا ينسجون الأساطير ويحبكون القصص والخرافات من خيالهم أحيانا، ومن تاريخهم الشنيع أحيانا أخرى. ولكي يعطوا الشرعية لادعاءاتهم هذه، ويضيفوا عنها هالة من القداسة، ألصقوها بالدين الموسوي، ونسبوا له أقوالا وأفعالا، هو بريء منها براءة الذئب من دم يوسف . ولم يتوقفوا عند هذا الحد، بل تجرؤوا حتى على الله رب العالمين، ونسبوا إليه كذلك الكثير من الأقاويل، فسبحان الله عما يصفون.

إن مرجعيات التنشئة الاجتماعية اليهودية، لا تخرج في معظمها على ثلاث مرجعيات أساسية، وكل مرجع من هذه المرجعيات يعتمد على مصدر رئيسي وهو الدين اليهودي المشوه والمحرّف، وهذه المرجعيات هي : الديانة اليهودية، الأدب، الحركات الصهيونية.

ولقد سلطنا الضوء في هذه المرجعيات فقط على تلك القيم التي تعرّف الناشئة اليهودي بذاته وبأصله، وتلك التي تحدد صورة الآخر "الجوييم"، غير اليهودي . فلنكتشف معا دور هذه التنشئة في تحديد هذه العلاقة بين الأنا اليهودي، والآخر غير اليهودي (الأغيار).

1.4. الدين اليهودي:

تعد الديانة اليهودية مرجعا أساسيا لكل مؤسسات التنشئة الاجتماعية الإسرائيلية، بشقيها الرسمي وغير الرسمي، فقد اعتمدت هذه المؤسسات اعتمادا كبيرا على الدين في سبيل تشكيل أجيال متشعبة بتعاليم التوراة والتلمود، وذلك من أجل ترسيخ مفاهيم معينة في نفوس الناشئة ، ولهذا فقد كان لهذه المواد الدينية حضورا كبيرا في المناهج الدراسية وفي جميع مراحل التعليم، بل تعتبر مادتا التوراة، والتلمود أساسا وإطارا للغايات التربوية، وهذا ما يكشف عنه أحد مفكري التربية اليهودية "مائير بارايان"، في قوله:

>> ... إن روح التلمود ومعرفة عامة لشرائعه وآدابه يجب أن يكون جزءا من دراسة كل يهودي متعلم حتى وإن لم يكن سيجعل من حقل الدراسة هذا مجالا للعمل.... يجب أن يحفظ كل تلميذ مقاطع معينة منه، وأن يتشرب روحها<<.

ومن بين ما تؤكد عليه هذه البرامج، وما تلقنه للناشئة هي تعليمه، وإخباره عن موقعه كيهودي من هذا العالم، وموقع الآخر، أي الأغيار غير اليهود ، فهي توهمه بأنه شعب الله المختار، وأن الشعوب الأخرى كلها سخرت لخدمته، كما أن جميع الحضارات والثقافات هي وحي من هذه الديانة وهذا الشعب⁽¹⁾.

أ_ التوراة

¹ - عادل العطاري، التربية اليهودية، عمان: (الأردن)، دط، دت، ص 70 .

يعتبر العهد القديم أول وأهم مصادر القانون والتشريع لمختلف الجماعات اليهودية، ومحل اتفاق على جعله مركز الحياة الاجتماعية اليهودية. وتعني كلمة "العهد القديم" في العبرية، العهد الذي بين الرب وإبراهيم عليه السلام وبني إسرائيل. والعهد القديم مقسم إلى أربع أقسام: التوراة، الأنبياء، الكتب، والصحف. ويضم القسم الأول: التوراة خمسة أسفار وهي: سفر التكوين، وسفر الخروج، وسفر اللاويين، وسفر الأحبار، وسفر العدد، وسفر التثنية. ويطلق مصطلح "التوراة" في بعض الأحيان على الشروحات والتفسير المكتوبة حول التوراة على مر العصور من قبل العلماء.

وقد وجهت انتقادات حادة حول مصداقية العهد القديم وصحة نسبته أصلاً، واعتبار الدين بأكمله تراكمات تاريخية، كما أن الكتاب المقدس محصلة أحداث تاريخية متراكمة. ولم يعد ينظر إلى نصوص الكتاب المقدس على أنها وحي من السماء إطلاقاً⁽¹⁾. فهي لا تعود بوجودها إلا إلى عدة أقلام يهودية، وهي على وجه التحديد أقلام "بيت يهوذا"، كما أنها لا تعود بتاريخ وجودها إلا إلى ما بعد الغزو البابلي لأورشليم أي 586 ق.م، ولهذا فإن الاعتقاد بنسبة هذه الأسفار إلى موسى، ليس إلا اعتقاداً واهماً باطلاً⁽²⁾.

أما في ما يتعلق بمكانة اليهود، وصورة الآخر (الأغيار) في التوراة، فقد وردت عبارات عديدة فيها، تبين طبيعة النظرة للآخر المختلف عن اليهودي المقدس في الأصل. وتعد فكرة "الاختيار الإلهي" لبني إسرائيل عقيدة جوهرية عندهم. ويرى علماءهم على اختلاف الجماعات المنتمين إليها، أن الاختيار عقيدة أصلية عززتها نصوص التوراة، فقد جاء في سفر التثنية (إنك يا إسرائيل شعب مقدس للرب إلهك... إياك اختار الرب إلهك لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض، ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب بل من محبة الرب إياكم وحفظه القسم الذي أقسم لأبائكم، أخرجكم الرب بيد شديدة وفداكم من بيت العبودية من يد فرعون ملك مصر. (التثنية 7-86)

كما جاء في سفر إشعياء، والخطاب لصهيون: (.... بالوجه إلى الأرض يسجدون لك ويلحسون غبار رجليك....)، يعني الأغيار، سفر إشعياء 49-23.

وفي موضع آخر (.... وبنو الغريب يبنون أسوارك وملوكهم يخدمونك... تنفتح أبوابك دائماً... ليؤتى إليك بغنى الأمم، وتقاد ملوكهم..) سفر إشعياء 60. 10.

ولهذا، فإن اليهودي يشكر إلهه في كل الصلوات لاختياره الشعب اليهودي، وعند قراءة التوراة يُحمد الإله لاختياره هذا الشعب دون الشعوب الأخرى، والتوراة ذاتها هي علامة التمييز في الاعتقاد اليهودي.

ففي الوقت الذي كان فيه اليهود من أضعف الشعوب في الشرق الأدنى القديم، وتعرضوا فيه لمختلف الضربات من قبل البابليين وسقوط أورشليم عام 586 ق م، تجد التأويل ينصرف إلى تأكيد فكرة انزال بني إسرائيل عن (الآخر)، وضرورة عدم اختلاطه بالشعوب الأخرى باعتبارها مدنسة واعتبار ذاته مقدسة، فكلما ازدادت الحالة سوءاً ازداد الإصرار على فكرة الاختيار، ففكرة الاختيار في نظر اليهود هي فكرة ناتجة عن إرادة الله المطلقة المبنية على الحب الإلهي لهذا الشعب⁽³⁾.

¹ - رقية العلواني، وآخرون، مفهوم الآخر في اليهودية والمسيحية، دمشق: دار الفكر، ط2، 2008، ص 48.49

² - ابكار السعاف، إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة، القاهرة: مكتبة مدبولي، ط2، دت، ص 49.48.

³ - رقية العلواني، وآخرون، مفهوم الآخر في اليهودية والمسيحية، مرجع سابق، 51-52

2.4. التلمود

يعتبر التلمود أهم مصادر العقيدة والفكر اليهودي، فاليهودي اليوم هو صورة طبق الأصل لتعاليم التلمود في كل شيء، بل إن اليهود اليوم ليرفعون التلمود فوق درجة التوراة⁽¹⁾.

ويعتبر التلمود تجسيدا لليهودي المشرّد الذليل الذي يحاول بكل ما يستطيع أن يحقق حلم الاستقرار وبناء الوطن على حساب الشعوب وأصحاب الأوطان، وفي الوقت ذاته يحاول الانتقام من كل بني الإنسانية، وإذلالهم واستعبادهم وسلبهم ونهبهم. وقد صاغ اليهود كل هذه المشاعر والآمال، والآلام في صورة كتاب التلمود، ولهذا نجده يصوّر اليهود بصورة المركز الأساسي للخلق، فالكون كله مخلوق من أجل اليهود وكل البشر مجرد خدم وعبيد، ومن هذا المنطق يحدد اليهود علاقتهم بالله فهو لهم وحدهم دون غيرهم⁽²⁾.

صورة الأنا اليهودي، وصورة الأغيار (الجوييم)، ومكانتهما في التلمود:

يعتقد اليهود التلموديون، أنهم من طينة غير طينة البشر، وأن أرواحهم من عنصر آخر غير العنصر الذي خلق منه سائر الناس، إذ تتميز أرواحهم عن باقي الأرواح بأنها جزء من الله كما أن الابن جزء من أبيه، ومن هنا جاءت المكانة السامية لليهودي، فهو معتبر عند الله أفضل من الملائكة.

ويعتبر التلمود غير اليهود، كالكلاب، والكلاب أفضل منهم لأنه مصرّح لليهودي في الأعياد بأن يطعم الكلب وليس له أن يطعم الأجانب، وغير مصرّح له أيضا بأن يعطيهم لحما بل يعطيه للكلب لأنه أفضل.

ويقول التلمود أيضا: إن الشعب المختار الذي يستحق الحياة الأبدية هم اليهود، وأما باقي الشعوب فمثلهم كمثل الحمير، ولا قرابة بين اليهود وبين الأمم الخارجة عن الدين اليهودي.... ولقد خلق الله الأجنبي على هيئة الإنسان ليكون لائقا لخدمة اليهود الذين خلقت الدنيا لأجلهم، لأنه لا يناسب الأمير أن يخدمه ليلا ونهارا حيوان على صورته الحيوانية، فهذا مناف للذوق والإنسانية. ومن خلال هذه النظرية الاستعلائية يضع التلمود مجموعة من الأسس والمبادئ لتعامل اليهود مع غيرهم من الناس، وملخص هذه الأسس هو استخدام كل ما هو غير أخلاقي، ولا إنساني مع غير اليهود.

فالسرقعة على سبيل المثال محرمة بين اليهود، ولكنها جائزة مع غيرهم، يقول حاخامات اليهود: "... إن الله سلّط اليهود على أموال باقي الأمم ودمائهم..." . ولكي يضفي اليهود الشرعية على تعاليمهم هذه يعطي للناشئة أمثالا عن شخصيات قامت بنفس السلوك: إن الراي "صموئيل" مثلا، أحد الحاخامات الكبار كان من رأيه أن سرقة الأجانب مباحة، وقد اشترى هو نفسه من أجنبي آنية من الذهب ظنّها الأجنبي نحاسا ودفع ثمنه أربع دراهم فقط وهو ثمن بخس، وفي نفس الوقت سرق درهما أيضا من البائع. إن سلوك اليهود هذا يؤكد القرآن الكريم في قول الله تعالى في سورة آل عمران، الآية 75: "ومن أهل الكتاب من إن تamenه بقطار يؤدّه إليك ومنهم من ان تamenه بدينار لا يؤدّه إليك إلا ما دمت عليه قائما ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الامين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون." صدق الله العظيم

¹ - سعد الدين السيد صالح، العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية، القاهرة: دار الصفا للطباعة والنشر، ط2، 1990، ص155.

² - سعد الدين السيد صالح، العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية، مرجع سابق، ص 163.

أما عن صفة الغش والنفاق، فانه يصل باليهودي إلى درجة أنه إذا جاء إسرائيلي وأجنبي في قضية أمام قاضي يهودي، فعلى القاضي اليهودي أن يستعمل كل أساليب الغش والخداع في سبيل الحكم لصالح الإسرائيلي.

أما النفاق فهو صفة متجذرة في اليهود، فالتلمود يبيح النفاق مع الأغيار، ولهذا فعلى اليهودي أن يحیی أو يلقي السلام على الأغيار بقوله مثلاً : الله يساعدك أو يبارك لك، شرط أن يهزأ به سراً أو يضمن في نفسه السلام لسيده أو معلمه.

ومن مظاهر النفاق أيضا أن التلمود يأمر اليهود بأن لا يلتزموا باليمين أو القسم مع الأغيار فهو لا يعتبر يمينا، لأن غير اليهودي كالحیوان، والقسم للحيوان لا يعد يمينا، ومن هذا يجوز لليهودي الحلف زورا وبهتانا خاصة إذا كانت اليمين إجبارية كأن تكون أمام المحاكم أو أمام خصم قوي.

أما عن القتل وسفك الدماء فيقول "موسى بن ميمون"، وهو من كبار مفسري التلمود وشارحيه : الشفقة ممنوعة لغير اليهودي، فإذا رأيته واقعا في نحر أو مهددا بخطر فيحرم عليك أيها اليهودي أن تنقذه، لأن السكان الذين كانوا في أرض كنعان، وقضت التوراة بقتلهم جميعا لم يقتلوا عن آخرهم، بل هرب بعضهم واختلط بباقي أمم الأرض، ولذلك يلزم قتل غير اليهودي لاحتمال أن يكون مع هؤلاء الهاربين.

أما عن الزنا بنساء الأغيار وبناتهم، يعتقد اليهود أن اغتصابهم مباح لهم ولا عقاب عليه، وإذا كان موسى يقول في الوصايا العشر: لا تزن، ولا تشته زوجة قريبك، فان الحاخامات يفسرون القريب باليهودي فقط، وبناء على ذلك فان اليهودي لا يخطئ إذا تعدى على عرض الأجنبي، لأن كل عقد نكاح عند الأجنبي فاسد ، لأن المرأة التي لم تكن من بني إسرائيل هي كالبهيمة، ولا يصح العقد مع البهائم وغيرها .

ويقول موسى بن ميمون: إن لليهود الحق في اغتصاب النساء الغير مؤمنات، أي الغير يهوديات⁽¹⁾.

3.4 . الأدب اليهودي والإسرائيلي:

" لليهود في إسرائيل عدة أنواع من الأدب: الأدب اليهودي، الأدب اليديشي^(*)، والأدب الإسرائيلي^(*). وكل نوع من هذه الآداب له مدلوله ولغته وأقلامه الخاصة به، وكذلك زمنه ووعيه⁽²⁾.

ولقد اتخذت إسرائيل من المدرسة جهازا لتحقيق أهدافها، ففي دور الحضانة ورياض الأطفال يؤخذ الطفل في سن مبكرة ويخضع لعملية إعادة تكوين الشخصية ضمن بوتقة جديدة ، وبسبب طراوة شخصية الطفل في هذه السن المبكرة تعمل دور الحضانة الإسرائيلية، ورياض الأطفال على تلقينه القيم الصهيونية بشكل غير مباشر، وذلك بواسطة الألعاب والأناشيد والقصص ويكون ذلك بإشراف معلمة مدربة.

¹ - سعد الدين السيد صالح، العقيدة اليهودية وخطورها على الإنسانية، مرجع سابق، ص 164-170

• - وهو الأدب المكتوب باليديشية الألمانية ذات المفردات العبرية، وقد كتب هذا الأدب إما في بولندا أو في روسيا.

• وهو الأدب المكتوب في إسرائيل بعد إنشاء الدولة العنصرية، ويعالج هذا الأدب مشاكل التجمع الاستيطاني الإسرائيلي بواقعه ومكوناته التي تشتمل أيضا على ما هو غير يهودي وغير صهيوني.

² - جمال البدری، الحرب على جغرافية القلب، مرجع سابق، ص 14-15

ولأدب الأطفال داخل الكيان الصهيوني أثرا واضحا في صياغة العقل والخيال لدى الناشئة الصهاينة، فقصص الأطفال اليهودية تصور دائما بأن العرب يحملون السلاح بأيديهم لكنهم يحملون الهزيمة في نفوسهم، وتتوارد في قصص الأطفال بطولات يهود يجازفون بحياتهم من أجل إسرائيل وجنود عرب يهربون من القتال.

ومن بعض نماذج القصص الأدبية اليهودية قصة "الأميرة والقمر"، تأليف "يوري إيفانز"، وتروي القصة ما يلي:

قالت لي الصغيرة: من الذي سرق القمر؟ قلت: العرب. قالت: ماذا يفعلون به؟

قلت: يعلقونه على جدران بيوتهم؟ قالت: ونحن؟ قلت: نحوله إلى مصابيح صغيرة تضيء أرض إسرائيل كلها.

منذ ذلك الوقت، والصغيرة تحلم بالقمر، وتكره العرب لأنهم سرقوا حلمها وحلم آبائها. هذا الصباح جاء أمير صغير إلى بيتنا وقال: هل تقبلون بي ضيفا؟ رحبنا به، ولكن الصغيرة قالت: من أنت؟

قال: أنا فارس من فرسان هذه الأرض، محارب في أرض إسرائيل، مت صغيرا لكنني أخرج مرة في العام أطوف في هذه الأرض، وأسأل إن كان شعبي يسكنها أم لا.

قالت الصغيرة: نحن شعبك، وأنا حبيبك أيها الأمير. قال الأمير: أنت حقا يهودية.

قالت: كلنا شعب إسرائيل.

ضرب الأمير برمحه في الأرض، وقال: إذن تحقق الحلم، الآن أستطيع العودة إلى قجري مرتاح البال.... تشبثت به الصغيرة قائلة: لم يتحقق الحلم بعد. قال الأمير: وكيف؟ قالت: لقد سرقوا القمر.

قال: من؟ قالت: العرب. ضرب الأمير برمحه الأرض وردد مع نفسه... لا بأس.

قال: انتظريني الليلة سأعود لك بالحلم الجميل، ومرت ساعات، ولكن الصغيرة ظلت تنتظر لم تأس ولم تستسلم للنوم... بعد منتصف الليل بقليل انشقت الغيوم فجأة ورأت الصغيرة القمر لأول مرة، رآته جميلا ورائعا، حدقت فيه طويلا ثم ركضت إلى أبيها، وقالت: استيقظ يا أبي، استيقظ... أنظر يا أبي هذا هو القمر... ولكن أين الأمير الصغير؟... لقد قتل، وأن الذي سرق القمر هو الذي قتل الأمير. لم تبك الأميرة فقد تحقق حلمها وأشرق القمر من جديد على أرض إسرائيل.

"فهذه هي القصة للكاتب "يوري إيفانز"، وهي قصة مبنية على حقد مركب، قصة تأصل لفكرة الكراهية والانتقام ضد العرب. فالكاتب حاول من خلال هذه القصة تغذية مشاعر الطفولة بالعداء والكره للعرب عبر التأكيد على أن العرب هم الذين سرقوا القمر وجعلوا أرض فلسطين ظلماء، وهكذا يقول الكاتب ليوحي للأطفال بأن العرب لا يتذوقون الجمال ويضحون به من أجل أنانيتهم ولا يحبون الطفولة

فيسرقون منها القمر حلم الأطفال. كما أن المحارب القديم الذي انشقت عنه الأرض وخرج، محاولة لتوكيد المقولة الصهيونية بأن أرض فلسطين هي أرض إسرائيل، وأن العرب قد اغتصبوها⁽¹⁾.

4.4. الحركة الصهيونية والوظيفة التنشئية

¹ - جمال البدرى، الحرب على جغرافية القلب، مرجع سابق، ص 43-46.

تعني عند اليهود كلمة "صهيون"، أرض الميعاد، أي الأرض المقدسة التي يتوق إليها اليهود. ومصطلح "صهيون" لا يطلق على كل اليهود، وإنما يطلق على طائفة خاصة منهم واليهود أنفسهم مختلفون في هذه الطائفة، فيذهب مؤسس الصهيونية "تيدور هرتزل" إلى أن الصهيونية هي العودة إلى الحياة اليهودية قبل أن تكون عودة إلى أرض صهيون، بينما يرى الصهاينة المعاصرون أن المسألة ليست مسألة عقيدة أو دين، وإنما هي مسألة العودة الفعلية إلى جبل صهيون في فلسطين، فلا يسمى "صهيوني" إلا من يحمل حقائبه بالفعل ويعود إلى فلسطين، ففكرة الصهيونية فكرة سياسية واستعمارية، الهدف منها تبرير استيلاء اليهود على فلسطين وطرده العرب أصحاب الأرض الحقيقيين⁽¹⁾.

ولكي تحقق الحركة الصهيونية هدفها الاستعماري أثارت فكرة الانعزال من جديد، والاهتمام بالهوية القومية والحفاظ عليها وعدم الذوبان في الآخر، أو الاندماج معه وتأكدت هذه الفكرة مع إنشاء الدولة الصهيونية سنة 1948.⁽²⁾ ولما كانت هذه الحركة على درجة كبيرة من الوعي، وإحاطة أكبر بواقع المجتمع الإسرائيلي، هذا الواقع الذي يصلح كما عبرت عنه الباحثة الأمريكية "مرغريت ميد"، بأن يكون أحسن مصنع للدراسات الأنثروبولوجية، والنفسية، والاجتماعية⁽³⁾، كون أن إسرائيل مجتمع غير متجانس، فهي تظم عدد كبير من المهاجرين الذين جاءوا من كل بقاع العالم مع ما يحملونه من لغات مختلفة وثقافات متباينة. ولم يرى رواد الحركة الصهيونية من حل إلا الاهتمام بالتربية والتنشئة الاجتماعية وإعطائهما العناية اللازمة، لصهر هذا الخليط في بوتقة الكيان الصهيوني بما يحتويه هذا الكيان من أفكار وآراء ومعتقدات استعمارية وعنصرية، فقامت بإنشاء مؤسسات الكيبوتز، التي كانت بمثابة المحضن الأول والأساس الذي يتم من خلاله إعادة تشكيل الأفراد القادمين من بقاع الأرض المختلفة، وتنشئتهم وفق مبادئ الحركة الصهيونية وأهدافها. وأثبتت "الكيبوتز" دورها التربوي الناجح في صهر الأفراد وتثبيت المفاهيم، والمبادئ، والأهداف التي تضمن بقاء دولة الكيان الصهيوني واستمرارها⁽⁴⁾.

وتنطلق الحركة الصهيونية في تحديد علاقة اليهود أو الصهاينة مع الأغيار، من النظرية العنصرية الغربية، وهي النظرية العرقية التي تميز الشعوب عرقيا وتفسر وتميز شعب عن آخر نتيجة لصفات العرقية، كنفوق العرق الأبيض على الزنجي مثلاً... ويعتبر اليهودي في الاعتقاد الصهيوني وحده موضع الحلول ويوجد داخل الدائرة المقدسة، ويصبح العربي، ممثلاً لكل الأغيار الذين يقعون خارج نطاق دائرة الحلول والقداسة، وقد وُصف الأغيار في الأدبيات الصهيونية بأنهم ذئاب، قتلة، متربصون باليهود، معادون أزليون لهم. ومقولة "الأغيار" حسب الدكتور "عبد الوهاب المسيري"، مقولة مجردة، لأنها لا تضم أقلية واحدة أو عدة أقليات، أو حتى عنصراً بشرياً بأكمله، وإنما تضم كل الآخرين في كل زمان ومكان، وقد وضع الصهاينة الإنسان العربي على وجه العموم، والفلسطيني على وجه الخصوص داخل مقولة "الأغيار" حتى يصبح بغير ملامح أو قسامات⁽⁵⁾.

5. تعليق على طبيعة التنشئة الاجتماعية اليهودية الإسرائيلية

- 1 - عبد الستار فتح الله، معركة الوجود بين القرآن والتلمود، القاهرة: دار النصر للطباعة، 1987، ص 38-39.
- 2 - رقية العلواني وآخرون، مفهوم الآخر في اليهودية والمسيحية، مرجع سابق، ص 71.
- 3 - فؤاد حسنين علي، الأدب اليهودي المعاصر، لا يوجد بلد النشر، مطبعة الخيلوي، دط، 1972، ص 12.
- 4 - عبد الرحمن الطريفي، من ملامح التربية اليهودية، الصحيفة الاقتصادية، موقع: <http://www.aleqt.com>
- 5 - عبد الوهاب المسيري، إسرائيل المستوطن الصهيوني، مجلد 7، ص 163، موقع: <http://arab-files.org>

إن ما يلاحظ على التنشئة الاجتماعية اليهودية (الاسرائيلية)، أنها تنشئة عنصرية، مبنية على حقد مركب ومعقد لكل ما هو غير يهودي، وأن مرجعيات هذه التنشئة، ولاسيما المرجعيات الدينية المحرّفة تكاد تقوم معظم تعاليمها وتشريعاتها وقوانينها على موضوع واحد، وهو علاقة اليهود بغيرهم، هذه العلاقة التي تجعل اليهودي كمركز والآخرين هوامش. ويمكن تفسير هذه النزعة العنصرية بما يلي:

لقد نشأت عقيدة التمييز العنصري عند اليهود، الناتجة عن أسطورة "شعب الله المختار"، كرد فعل لما عاناه اليهود خلال مراحل الأسر، والتشرد التي تعرضوا لها. فرجال الدين خوفا منهم بأن تذوب جماعاتهم في المجتمعات الأخرى اخترعوا لأنفسهم هذه الفكرة في محاولة لتجميع الشعب اليهودي وعدم اختلاطهم بالآخرين. هذا بالإضافة إلى احتقار شعوب المجتمعات المضيفة لليهود، وذلك بسبب أخلاقهم الذميمة، والنظرة إليهم على أنهم من أجناس أقل، وهكذا تحولت عقدة النقص والضعف عند اليهود إلى ألوان جنون العظمة⁽¹⁾.

ومما عمق عزلة اليهود أيضا، القوانين الدينية المختلفة كقوانين الطعام، وتحريم الزواج المختلط، الاحتفال بالختان، صلاة الجماعة، وعادات الدفن والمدافن الخاصة، فهم لا يأكلون مع الأغيار، ولا يصلون معهم ولا يتزوجون منهم، ولا يدفنون معهم، أي أنها عزلة كاملة عند الميلاد وفي الحياة وعند الموت... فاليهودي لا يستطيع أن يأكل مع جار أو صديق لأنه كان يتحتم عليه أن يأكل طعام "كوشر" أي مباح، فمثلا يحرم أن يجمع بين اللحم واللبن، كما أن الحيوانات لا بد أن يذبحها ذابح شرعي⁽²⁾.

فاليهودية حاولت توحيد اليهود عن طريق توحيد الشرائع التي تؤكد الانفصال، وليس عن طريق توحيد العقيدة والقيم الأخلاقية، وتأكيدها شمولها وفعاليتها كما هو الحال في المسيحية والإسلام. والدارس للطقوس الدينية اليهودية يجد أنها تنحو بشكل حاد نحو تأكيد الانفصال عن الأغيار (ربما لأنها كانت ديانة شعب صغير وسط إمبراطوريات عاتية تهددها دائما بالابتلاع).

ومن أهم العقائد عقيدة الماشيح، (وهو عندهم ملك من نسل داوود سيأتي في نهاية التاريخ ليجمع شتات اليهود المنفيين إلى الأرض المقدسة، ويحطم أعداء إسرائيل)، وقد أضعفت هذه العقيدة من انتماء اليهود لأي حضارة وزادت من انفصالهم عن الأغيار. لأن انتظار الماشيح، والرغبة في العودة تضعف إحساس اليهودي بالمكان والانتماء الاجتماعي والتاريخي⁽³⁾.

ويبقى القول أن التنشئة الاجتماعية اليهودية كان لها دور كبير في تشكيل وصياغة عقلية ونفسية الناشئة، وبلورتها على النحو الذي تريد، وقد كان لها ذلك من خلال توحيد الكيان الصهيوني، رغم الشتات الذي عرفه اليهود في بقاع العالم وعلى مر الأزمان والعصور.

6. خاتمة

مما سبق يمكن القول، أن الاعتقادات والأفكار التي تبدو "عنصرية" لا تصدق على كل اليهود، علمائهم وعامتهم، ومفكرهم، وساستهم، بل هناك منهم من ينتقد بشدة هذه المعتقدات والتمثيلات والأساطير التي نسجها بعض اليهود لأنفسهم،

¹ - سعد الدين السيد صالح، العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية، مرجع سابق، ص 296.

² - عبد الوهاب المسيري، الإيديولوجية الصهيونية، الكويت: عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عدد 60، ديسمبر 1982، ص 30.

³ - عبد الوهاب المسيري، الإيديولوجية الصهيونية، مرجع سابق، ص 36.

ومن بين أولئك المنتقدين، المفكر "شاحاك"، الذي يرى بأن السبيل إلى ثورة حقيقية في اليهودية، هو جعلها إنسانية، وأن السماح لليهود بفهم ماضيهم، يتطلب إعادة تربية أنفسهم خارج طغيان الديانة اليهودية ⁽¹⁾.
ومن أولئك كذلك، نجد رواد حركة التنوير اليهودية (المسكلاء)، والتي زعزعت الكثير من الأفكار النمطية، فكانت محاولاتها تنصب على تشجيع اليهود على الاندماج مع (الأغيار)، وترك فكرة الانفصالية والعزلة عن المجتمعات التي يعيشون فيها ⁽²⁾.
ويعد الفيلسوف اليهودي الألماني "موسى هندلسون" (1729-1786)، فيلسوف هذه الحركة بالدرجة الأولى، وهو يرفض الاعتراف بأي جانب من اليهودية يتنافى مع العقل، ويرى أيضا أن للحاخامات دور كبيرا في السيطرة على الديانة اليهودية وعلى اليهود ⁽³⁾.

ولا يختلف موقف اليهودية المحافظة، واليهودية الإصلاحية كثيرا عن موقف هؤلاء. فقد قدم الاصطلاحيون تأويلا أكثر ملائمة لنهجهم في التعامل مع الأغيار يدور حول فكرة الرسالة. فاليهود في نظرهم أصحاب رسالة، وهم مطالبون بنشرها لتحقيق الخلاص في العالم، ومن هنا مسألة اختيار الإله لهم.

7. قائمة المراجع:

- 1- القرآن الكريم.
- 2- عبد المالك مرتاض، الآخر والنحن، الجزائر: منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، أعمال الملتقى الدولي "شروط الحوار المثمر بين الثقافات والحضارات ج 1، ص 336.
- 3- السيد عمر، الأنا والآخر من منظور قرآني، دمشق: دار الفكر، ط1، 2008، ص33.
- 4- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، (بتكليف، شوقي ضيف، وتحت إشراف، شعبان عبد العاطي عطية وآخرون)، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004، ص 32.
- 5- دنيس كوش، ترجمة منير السعيداني، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2007، ص 62.
- 6- مراد زعيم، مؤسسات التنشئة الاجتماعية، الجزائر: مديرية النشر، جامعة باجي مختار عنابة، دت، دط، ص 07.
- 7- علي أسعد وطفة، الأسس العلمية في التنشئة الاجتماعية، جامعة الكويت: مركز الرافدين للبحوث والدراسات الاستراتيجية، دط، 2012، ص 4-5.
- 8- رانيا عدنان، رشا بسلام، التنشئة الاجتماعية، الأردن: دار البداية، ط1، 2006، ص11.
- 9- عبد الستار إبراهيم، الإنسان وعلم النفس، عالم المعرفة، عدد 86، فبراير 1978، ص209.
- 10- وليام لامبرت، وولاس لامبرت، علم النفس الاجتماعي، ترجمة سلوى الملا، القاهرة، دار الشروق، 1993، ط2، ص 112، 113.

¹ - شاحاك، ترجمة حسن خضر، إسرائيل، فلسطين: سيناء للنشر، ط1، 1994، ص 112.

² - رقية العلواني وآخرون، مفهوم الآخر في اليهودية والمسيحية، مرجع سابق، ص 71.

³ - عبد الوهاب المسيري، الإيديولوجية الصهيونية، مرجع سابق، ص 62.

- 11- مایسة أحمد النیال، التنشئة الاجتماعية، مبحث فی علم النفس الاجتماعي الإسکندرية : دار المعرفة الجامعية ، د ط ، 2007 ، ص 33 ، 34.
- 12- جمال البدري، الحرب على جغرافية القلب، القاهرة : الدار الدولية للاستثمارات الثقافية 2001، ط 1 ، ص 6.
- 13- عادل العطاري، التربية اليهودية، عمان: الأردن، دط ، دت ، ص 70 .
- 14- رقية العلواني، وآخرون، مفهوم الآخر فی اليهودية والمسيحية، دمشق: دار الفكر، دط، 2008 ص 48، 49.
- 15- إېكار السعاف، إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة ، القاهرة: مكتبة مدبولي، ط2، دت ص 30-31 .
- 16- سعد الدين السيد صالح، العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية، القاهرة: دار الصفا للطباعة والنشر، ط2، 1990، ص 155.
- 17- عبد الستار فتح الله، معركة الوجود بين القرآن والتلمود، القاهرة: دار النصر للطباعة، 1987، ص 38-39 .
- 18- فؤاد حسنين علي، الأدب اليهودي المعاصر، لا يوجد بلد النشر: مطبعة الجيلاوي، دط، 1972، ص 12.
- 19- عبد الرحمن الطيرري، من ملامح التربية اليهودية، الصحيفة الاقتصادية، موقع: <http://www.aleqt.com>
- 20- عبد الوهاب المسيري، إسرائيل، المستوطن الصهيوني، مجلد 7، ص 163، موقع. <http://arab-files.org>
- 21- عبد الوهاب المسيري، الإيديولوجية الصهيونية، عالم المعرفة، الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، عدد 60 ، ديسمبر 1982 ، ص 30.
- 22- شاحاك ، ترجمة حسن خضر، إسرائيل، فلسطين : سيناء للنشر ، ط 1 ، 1994 ، ص 112 .